مدارس الأدب المقارن: المدرسة الأمريكيّة

الأستاذ عدنان فوضيل

تعود البداية الفعلية للمدرسة الأمريكية إلى سنة 1958، حين ألقى الناقد الأمريكي "رينيه ويليك" محاضرته المعنونة "أزمة الأدب المقارن" في المؤتمر الثاني للرابطة العالمية للأدب المقارن، الذي انعقد بجامعة "تشابل هيل" الأمريكيّة، وقد انتقد فيها بشدّة المدرسة الفرنسيّة من خلال:

أ- افتقادها إلى تحديد موضوع الأدب المقارن ومناهجه، ويظهر هذا من خلال تخبطها بين المناهج من التاريخية إلى التجريبية في محاولة منها الإبقاء على إيجابية الأدب الفرنسي

ب- / **ب**- تغليب العناصر القومية على العمل الأدبي في الدراسة، وهو الأمر الذي أقصى الكثير من الآداب من عملية المقارنة (مثال الأدب الأمريكي)

ت- / **ج**- المبالغة في إثبات مظاهر التأثر والتأثير، وهو ليس أمرا محوريا في عملية المقارنة، ولا يقدم الكثير للدرس المقارن.

لقد تبنى جلّ المقارنين الأمريكيين دعوة، فشكلوا المدرسة الأمريكية، التي تهدف إلى دراسة الظاهرة الأدبية في شموليتها دون مراعاة للحواجز السياسية واللسانية...[1]. فالشيء الذي ميّز المنظور الأمريكي عن المنظور الفرنسي هو عزل الدّراسات المقارنة عن السياسة.

[1]– ينظر: – سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن – دراسة منهجية، ص 94– 100 .

وقد تأسست المدرسة الأمريكيّة على مبدأين: المبدأ الأخلاقي الذي يقوم على اعتبارات تاريخيّة تحيل إلى حداثة الحضارة الأمريكية التي هي مزيج من الجنسيات والثقافات الأوروبية، هذا ما دفعها إلى الانفتاح عن العالم، ومن ثم احترام الانجازات الأدبيّة الأجنبيّة. والمبدأ الثاني هو المبدأ الثقافي الذي يتمثّل في بحث المدرسة الأمريكيّة عن هوية ثقافية ذات طابع منهجي ومعرفي يدور في حلقة القرن العشرين متخلصة من وضعية وتاريخية القرن التاسع عشر[1].

ومن أبرز رواد المنهج الأمريكي بعد "رينيه ويليك" نجد "هنري ريماك" و"هاري ليفين" و"جون فليتشر" و"أولريش فايسشتاين"... وقد عرف لنا الرائد "هنري ريماك" الأدب المقارن، فقال بأنه دراسة الأدب فيما وراء حدود بلد معين، ودراسة العلاقات بين الآداب والمجالات الأخرى للمعرفة والاعتقاد كالفنون (الرسم والنحت والمعمار والموسيقى مثلا) والفلسفة والتاريخ والعلوم الاجتماعية (السياسة والاقتصاد والاجتماع والعلوم بأنواعها والديانات) باختصار هو مقارنة أدب بأدب آخر أو آداب أخرى، ومقارنة الأدب بمجالات التعبير الإنساني الأخرى[2].

أي ربط الأدب بمختلف الفنون والعلوم «معتمدة في ذلك على المزاوجة بين الأدبي والفني، وهي مزاوجة كثيرا ما تفترض تداخلا للاختصاصات والثقافات، بل ومعالجة لا تميز بين الأدبي والموسيقى/ الغنائي والشعري/ الماتحت - أدبي والأدبي، في تحطيم مستمر للحواجز التي تفصل عادة بين اللغوي والتشكيلي، بين العلاقات التاريخية الأكيدة والعلاقات الغائبة عن الأعمال والنصوص، مادام

---

[1]- ينظر: سعيد علوش، ص 94

[2]- ينظر: يوسف بكار وخليل الشيخ: الأدب المقارن، ص83.

الهدف الأساسي ليس هو إثبات التأثير والتأثر، بقدر ما هو بلوغ البنية الجمالية والتشكيلية للنصر المقارن»[1].

بهذا أصبح «الأدب المقارن بمفهومه النقدي الذي يعرف بالمدرسة الأمريكية ذلك المفهوم الذي يدرس الأدب المقارن بموجبه الظواهر الأدبية في جوهرها الجمالي بصورة تتجاوز الحدود اللغوية والقومية للآداب من جهة، ويقارن الأدب بالفنون ومجالات الوعي الإنساني الأخرى من جهة ثانية»[3].

ومنه يصبح الجوهر الجمالي أساس الدراسة المقارنة، فالأدب المقارن إذن هو الذي يدرس جمالية الأدب، ويقارن بين الأدب ومختلف الفنون والعلوم. وهذا ما أكده دانييل، يقول «الأدب المقارن هو الفن المنهجي الذي يبحث في علاقات التشابه والتقارب والتأثير، وتقريب الأدب من مجالات التعبير والمعرفة الأخرى... مثلا يقرب نصا أدبيا من اقتباس سينمائي أو لوحة أو قطعة موسيقية، أو عندما يقارن بين الأدب والتاريخ والأدب والتحليل النفسي»[4].

وتكمن جمالية الأدب في الظواهر الفنية الداخلية للنص الأدبي، إذ «تنبع جمالية المنهج الأمريكي من تركيزه على "داخل الأدب" أي شبكة العلاقات الداخلية في النصوص، وهو ما يعرف عندهم وفي مناهج النقد الحديث الشكلانية بـ "أدبية الأدب" بعيدا عن العوامل الخارجية»[5].

---

[1]– سعيد علوش، ص 94، 95.

[3] –عبده عبّود: الأدب المقارن – مشكلات وآفاق، ص 63.

[4] – دانييل – هنري باجو: الأدب العام المقارن، ص 18 – 19.

[5] – يوسف بكار وخليل الشيخ: م. س، ص 94.

فالمدرسة الأمريكية تهتم إذن بالعناصر الداخليّة الجوهرية للعمل الأدبيّ المتمثّلة في بنيته الفنيّة والجماليّة، أي أنها تنطلق من داخل النص الإبداعيّ، لذلك سُميت هذه المدرسة بـ "مدرسة النصيب" أو "المدرسة الفنيّة". وبناء عل ذلك فقد «رفض رينيه ويليك المنهج الفرنسي التقليدي في الأدب المقارن، ودعا إلى منهج يتعامل مع جوهر الأدب، أي إلى منهج نقدي في الأدب المقارن. إنه منهج بات يعرف "بالمدرسة الأمريكية أو "المدرسة النقدية"»[1] لذلك سميت هذه المدرسة أيضا "بالمدرسة النقديّة" أو "النقد الجديد" لاهتمامها بالنقد.

وقد تساءل عبده عبّود، فقال: ألا يؤدي ذلك إلى إذابة الأدب المقارن في النقد الأدبي؟ يجيب فيقول: «فالنقد الأدبي يجب أن يكون مقارنا يتجاوز الحدود اللّغوية والقوميّة للآداب، والأدب المقارن يجب أن يكون نقديا يقارب النصوص الأدبيّة كبنى جماليّة، لا كمؤثرات ووسائط. عندئذ يصبح الأدب المقارن نقدا ويصبح النقد أدبا مقارنا، وتزول تلك الحواجز المصطنعة التي أقيمت بين الأدب المقارن والنقد الأدبي»[2].

وإذا كانت المدرسة الفرنسيّة تعتبر أن ثنائية التأثير والتأثر شرطا للدّراسات المقارنة، فإن المدرسة الأمريكيّة لا تعده شرطا، فهو غير أساسي عندها، لكن لا ترفضه، إذ «من الخطأ فهم المدرسة الأمريكية ترفض أو تستبعد الصلات والتأثير والتأثر من اهتمامها ودراساتها، بل هي لا تشرط ذلك، وبين هذا وذاك فرق»[3].

---

[1] – عبده عبّود: الأدب المقارن – مشكلات وآفاق، ص 46.

[2] – م. ن، ص 47.

[3] – نجم عبد الله كاظم: في الأدب المقارن – مقدمات للتطبيق، ص 09.

وعدم تركيز المدرسة الأمريكيّة على ثنائية التأثير والتأثر في الدّراسات الأدبيّة المقارنة، دفعها إلى الاهتمام بمجالات أخرى، كاهتمامها بنظرية "التوازي" أو "التشابه" أو "القرابة" "Paralellism " ويقصد به الكشف عن وجود التماثل في البيئة أو الفكرة أو المزاج أو الأسلوب بين أعمال مختلفة لا يربط بينهما أي رابط من حيث الصلات التاريخيّة أو علاقات التأثر والتأثير، أي دراسة نصين أدبيّين متشابهين دون أن تكون بينهما أية علاقة فعليّة سالبة كانت أم موجبة[4] أي أن تشابه الظروف المحيطة بالكتّاب والأدباء يؤدي إلى تشابه إبداعهم الأدبي...

ويمكن إرجاع "التوازي" إلى العوامل التاليّة[5]:

1- **العامل الاجتماعيّ:** كأن يصل مجتمعان من المجتمعات إلى مرحلة متماثلة من التطور، أو أن يواجه مشكلات متماثلة.

2- **العامل الأدبيّ:** فقد ينمو في مجتمعين – أو أكثر- في إحدى مراحل التطور جنس أدبيّ معين نموا تلقائيا يؤدي إلى تطور مماثل لنماذج أجنبيّة.

3- **العامل النفسيّ:** فالعقل الإنسانيّ له أشكال استجابة مشتركة للتجربة المشتركة، ويدخل في هذا ما قد يكون لمؤلفين أو أكثر من سجايا وسمات متماثلة.

وهي النظرية التي ستصبح أساس الدراسة في المدرسة اللاّحقة ونقصد بها " المدرسة السلافية"، لتجعلها منطلقا أساسيا في الدرس المقارن، وهذا باستناده على الطرح الماركسي.

---

[4] – ينظر: يوسف بكار وخليل الشيخ: الأدب المقارن، ص 67.

ومن **سمات المدرسة الأمريكيّة** نجد[1]:

أ- تفادي المآخذ التي أخذت على المنهج الفرنسي كما تجلت في مقال "ويليك" (أزمة الأدب المقارن)؛

ب- توسيع مجال الأدب المقارن بتقديم مفهوم أوسع للعلاقات الأدبية ومدّ آفاق المقارنة لتشمل العلاقة بين الأدب وأنماط التعبير الإنساني الأخرى؛

ج- ملاحقة العلاقات المتشابهة بين الآداب المختلفة وفقا لمفهوم "التوازي" أو "التشابه" أو "القرابة".

نقد المدرسة الأمريكية[2]:

أ-عدم التمّيز بين الأدب المقارن والأدب العام، نتيجة ارتباط الاثنين بموضوع واحد "الأدب"؛

ب- تنوع تعاريف المقارنين الأمريكيّين التي تتسم بالازدواجية التي تؤدي إلى مفهومين وليس مفهوم واحد، فالأدب المقارن عندهم هو المقارنة بين الآداب، وبين الآداب وغيرها من وسائل التعبير الإنساني؛

ج- استنكاره للنزعة القومية التي اعتمدتها المدرسة الفرنسية، في حين أنهم تورطوا في تلك النزعة. أي النظرة الخاصة إلى الأدب الغربي كفضاء متميّز، فنظرتها هي نظرة استعلائية...

---

[1]– يوسف بكار وخليل الشيخ: الأدب المقارن، ص 83.

[2] – ينظر: – م. ن، ص84.

– سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن – دراسة منهجية، ص 105.